## أنتوني بلينكن بائع البوشار

**أحمد عمر**

«كلاب من قشّ»، اسم فيلم هوليوودي، نمطي، نُسجت على غرار حبكته ومنوال عُقدته مئات الأفلام، حكايات السينما وحبكاتها معدودة عدّاً، وكان الكاتب جورج بولتي قد صنفها في 36 حبكة، أولها حبكة المستفيث المحاصر، وسمّاها «حبكة المتوسل». حبكة «كلاب من قشّ» حكاية حصار عصبة من الأشرار بيتاً معزولاً ليس فيه سوى امرأة وحيدة حسناء (والحُسن مكرّم)، اعتزلت في عطلة الصيف، قد تتحوّل عصبة الأشرار إلى أشباح، أو كائن أسطوري، أو وحش، أو مجرم منبوذ قرّر أن ينتقم لنبذته.

وقد يكون المحاصر امرأة وحيدة مع طفلها، وقد تكون صمّاء، وقد يكون رجلاً أعمى، فذلك أبلغ في الإثارة والتشويق، وتلك هي «الدراما». وزيادة في دفع الدراما إلى أقصاها (ترجمتي الدراما المحنة)، يجترح الأشرار الفظائع ويقترفون القبائح، ويرتكبون المخازي، لكن المرأة تفلح في استنفاذ حياتها، بمساعدة بطل مساعد، فلا بد من بطل ثانٍ، ولا بد من نهاية سعيدة، النهاية السعيدة تعبيرٌ عن الجنّة والخاتمة الفردوسية، وهي، في معظم الأفلام، قبلةٌ بين العاشقين، ونهاية المجرم.

تتغلّب المرأة بأسلحة منزلية، مثل كهربة حديد النافذة، أو استعمال الماء المغلي، أو نصب فخاخ الطرائد، فتقضي على الأشرار أو تستدرج الوحش إلى المصيدة، والوحش، مهما بلغت قوته، لا يخلو من نقطة ضعف، ولكن لم يقع قط في أيٍّ من أفلام الحصار والتشويق أن يقتصب الأشرار رجالاً، الفيلم الوحيد الذي ضحّت فيه امرأة بشرفها سدى من أجل عصابتها كان «الأجنبي» لجاكي شان. تظهر السيدة غضبها كون الخصم الذي كلفت بسرقة أسراره كان مثليّاً؛ وقد اغتصب الإسرائيليون معتقلين نكاية وتشفّياً وإيلاماً، بل وأفتوا في برلمان «ملكة جمال الديمقراطية في الشرق الأوسط» بجواز اغتصاب الذكور! ونكلوا بالمحاصرين في غزّة تنكيلاً لم نره سوى في أفلام الرعب، ولم نسمع به في قصص التاريخ المسموعة والمغتصبة من الخيال، سوى في محاكم التفتيش الإسبانية قديماً، وفروع الأمن السورية حديثاً، وكنت ساضيف إليها غوانتانامو، لكن سِنة أدركتني.

كان المشاهدون قديماً، في أيام السينما الذهبية يصفقون للبطل المنقذ، وهو يظهر في اللحظة المناسبة استغاثة المحاصرة، فيأتي «ملاك الربّ»، لكن المحاصرين في غزّة معزولون عن أهلهم وجيرانهم، يستغيثون ويتوسّلون ويستنجدون، ولا مروءة لمن تنادى، بل عجز خمسون فتوة عربيا، اجتمعوا في القمّة غير العادية (الخارقة) عن غوث المحاصرين سوى بصبّ القهوة للنشامى «وزادوها هيل»، أو دعوة إلى إدخال المؤن، حتى أطلق عليها صحافيون اسم قمّة الفناجين، وسمّاها بعضُهم قمّة جينيفر لوبيز، ليتهم نجحوا في استنقاذ صحافيين مُصابين محميين بقوانين دولية، وأخرجوهم للاستبراء والاستشفاء. مضت أربعمائة وعشرة أيام، ونحن نشاهد هذا الفيلم الطويل، والأشرار يذبحون المحاصرين ويقتلون ويتكلون، ويدمّرون المساجد والمدارس والمستوصفات، ونحن ننتظر أن يأتي البطل المساعد، الذي قد يُختزل إلى ذخيرة وبنادق في قصة روبنسون كروز (آدم الاستعمار)، وكرة في النسخة الثانية من روبنسون كروز (توم هانكس في كاست أوي)، لا بد من بطل مساعد، وقد يكون حيواناً، وإنّ الخيول والكلاب والهررة تُقتل في غزّة أيضاً.

تأخّر البطل، والمرأة المحاصرة تنتظر، وتهرب من غرفةٍ إلى غرفة، ولا معين سوى مظاهراتٍ في بلاد بعيدة، والعمدة والقاضي والشرطة والملحقون الدجّالون يؤازرون وحش الله المختار الذي هبط علينا من كوكب «كريبتون»، كوكب سوبرمان.

يحضُر قائد الشرطة، فيحكم بقتل المحاصرين، لأن بينهم إرهابيين، ويوصي بإطعامهم قبل قتلهم، ويحكم القاضي (المحكمة الدولية) لهم، لكن بلا نفاذ. يظهر بلينكن، بائع البوشار الحزين، والبوشار طعام نظّارة السينما وتسليتهم، ويُباع في أوعية ورقية كبيرة، ويبرّر الأخ الشقيق الذي يسدُّ النوافذ على غزّة خوفاً من هرب المحاصرين إلى دياره التي زيّنها بالجسور وناطحات السحاب.

## لكل امرئ حكاية تشبهه تماماً

**عبد الحكيم حيدر**

كنت دائما أقرأ عذابات حكاية محمد شكري من خلال تقاطيع وجهه الصريحة، فكل نُدبة في الوجه تحكيه علامةٌ في الحكاية، حكايته، أو حكاية حياته التي قرأناها في «الخبز الحافي»، وكأن الوجه خريطة صادقة لحكاية صاحب الوجه، الحكاية التي لك خلف ظهرك تسعى على شفاه الآخرين، والوجه في شكري خريطة واضحة تحكي لك الحكاية لو أحسنت تأمّله، والكتب التي كتبها ما هي سوى تسجيل لبعض ما أعلنه الشخص من نفسه بعدما نسي بعضه وجمّل بعضه وتناسى بعضه.

في آخر مرة وأول مرة رأيت فيها يوسف إدريس، كانت ندوة تأبين للراحل لويس عوض في أتيليه القاهرة. كان يحكي بيقين، وكأنه العارف الوحيد بحياة لويس عوض. كان الوجه جميلاً وحاداً ولا يلتفت إلى الآخرين، ولا يعبأ بأي سرد لتاريخ وقائع رحلة لويس عوض، وكأنه يقول الحقيقة الوحيدة. راجعه الراحل غالي شكري في بعض تواريخ نشر آخر مقالاته عوض كي يصحّح له معلومة، فردّ بحدّة: «خلاص خلاص، إن كان كده عادي». وأخذ يكرّر كلمة عادي بأنفة عدّة مرات، وكأنه لا يقدّم أي اعتذار عن شيء، بل يتعالى حتى عن سماع التصحيح. كانت تقاطيع يوسف إدريس مليئة بالثقة في معلوماته، حتى وإن أخطأ فيها، والوجه في قمّة الرفعة بكل حركاته وسكناته، وكأنه وجهٌ من هناك، حيث التمكين الكامل لكل ما يقوله للجمهور المُنصت له والفرح بوجوده والمنبهر أيضاً، حتى وإن كان يشوبُه الخطأ، وكأنه لا يسرد تاريخ مفكّر، بل يسرُد تاريخه هو وبؤرتها هو وحكايته هو.

وجه إدريس عامرٌ بصحة حكايته ونزاهتها من دون أن يخدش مصداقيّتها أي آخر، تلك القداسة المبطّنة بالثقة المطلقة في الشخص هل ساعدته كي يفرض نفسه على مملكة القصة الفريدة في خمسينيات القرن الماضي، أم هناك حكايات أخرى ضرب فيها الرجل بأسهم الثقة مكنته من ذلك؟

تستطيع أن تقرأ في وجه نجيب محفوظ بسهولة مؤشّرات طيبة الموظف المستور، ابن الحي الشعبي، وإنْ كان لا يمكنك، بلؤمه وصمته وتأملاته، وأنت في حضرته، من قراءة بقية خفاياه وحكايته، وإنْ كانت حكاية محفوظ مبثوثة بذكاء، في ثنايا روايته، ولعلّ ذلك ما جعله يزهد في تسجيل سيرته أو حكايته، وعلّل رفضه بأن حياته في روايته. يبقي وجه محفوظ المخاتل والطيب والودود والمتحفّظ على حكايته، وكأن الرجل يبتعد بوجهه عن البوح، كي يقول حكايته في روايته، إلا أن «أصداء السيرة الذاتية» وأحلام فترة النقاهة» قالتا ما استطاع نجيب محفوظ أن يخفيه، لأنها كانت آخر علاقة مباشرة مع الكتابة، فاستطاع أن يصوغ حياته بجمل أقرب إلى الشعر أو الشطحات أو الشذرات. كان كصوفي تكتّم على حكايته، حتى أشار إليه الموت بقرب النهاية أو اقترابها، فباح، حتى وإن لازمه زاد ذلك التحوّط واللوم أيضاً، ولكنه كلوم الشيوخ حينما تقترب آجالهم من نهايتها؛ لم تكن حكاية محفوظ شاقّة وعنيفة، وبها عذابات وثارات طفولة وشباب كمحمد شكري، ولا عنيدة وشرسة وواثقة ومتباهية كيوسف إدريس «يبارز أهل الشركس في ملاحة الوجه وعافيته»، كان بالوجه دلال العشّاق وغزواتهم ومباهاتهم، وكان وجه محفوظ أقرب إلى العاشق المتمهّل الذي يدبر أحابيله ويغزلها على مهل، مثل روايته تماماً، وحكايته داخلية وخفية ولا مجال لإعلانها، ولا تمسّ من العامة، عكس حكايات يوسف إدريس التي تروى. أحياناً، أرى رجلاً يضرب طفلته في المقهى ويزغر لها وكان بينه وبينها ثارات. بعد قليل أكتشف أن البنت شقيّة جداً، وكان لها حكايات في إغاظته، وقد تعوّدت على ذلك وهو أيضاً تعوّد. واضح أن الحكايات الخفية تساعد الاثنين على ذلك الأذى الذي تأملته فور رؤيتي له، إلا أن البنت سريعاً ما عادت إليها ابتسامتها، وبدأت تشرب الشاي، وتغيظ أختها الأكبر منها قليلاً، فعاود الأب زغزاته للصغرى الشقيّة، وطبطب على الكبرى. كانت وجوه الثلاثة مباراةً لكي تعرف أو تحدس حكاياتهم هناك داخل المنزل. وعرفتُ ساعتها أن الوجوه، بكل وضوح، تقول ما نخفيه في الحكاية. تلك الحكاية التي ستتمو فيما بعد، مع الأيام التالية والأحداث، في وجه (وملامح) البنت الصغرى الشقيّة أو الكبرى الهادئة أو ذلك الأب المسكين المعذّب بقسوته وفقره.

## ترامب أكثر رجال الدنيا حظّاً

**دلال البزري**

هل ترامب أكثر الرجال حظا؟ تساؤل ردّده أميركيون كثر في أثناء حملته الانتخابية، والأرجح أنه سيعود بقوة بعد فوزه.

تحاول الصحيفة الأميركية، ديموقراتيك أندرغراوند، الإجابة عنه بعرض مخالفات ترامب القانونية التي لم تمنع الحزب الجمهوري من اختياره مرشّحا عنه، ولا من بقائه حرّاً خارج القضبان، مثل قضايا اغتصاب وتحرّش واحتيال ضريبي وتشهير وإفساد العدالة... باختصار، لا يستكمل برهانها، تتنبأ الصحيفة بفوزه على منافسته كمالا هاريس.

ولكن حظ ترامب ليس ابن لحظة قراره الثاني بخوض الانتخابات الرئاسية. إنما يعود إلى يوم ولادته: من أب مقاول في البناء، أعماله تصادف نهاية الحرب العالمية الثانية، فتكون ثروته. من أصول ألمانية، بيضاء شقراء. وخمسة إخوة، هو الثاني في ترتيبه، ولكنه يحتل المرتبة الأولى، لأن أخاه البكر ليس مهتما بالمقاولات. يحب هذا الأخ الطيران، فيختضم به، ويرحل باكراً، لتكون وراثة أعمال الأب المزدهرة من نصيبه.

ترامب نفسه طويل القامة، وسيم، غاية في الحيوية. زوجاته كلهن من «الجميلات». والواحدة بعد الأخرى، بين عارضات أزياء وملكات جمال. وهو يقول إن النساء يجذبن إليه تلقائيا، لأنه نجم. والنساء يحبن النجوم. ما يمكنه من اختيار الغانيات من بينهن، أي أجملهن. كان يمكن بهذه الصفة الأخيرة، أي كونه مزواجا، أن يضرّ بسمعته ويناقض أراءه عن العائلة وقدسيتها وقدسية الحياة؛ وهذه شعاراته في الحملة على هاريس، «التي لم تولد... صاحبة القطط».

ولكنها، أي الصورة السلبية هذه لا تصمد أمام الثراء والطلّة والعرق وكوكبة من الجميلات حوله... وكل نقاط الجذب هذه تضع الادّعاءات المحافظة في جيبها. يمكن أن يتكلم ترامب ساعات عن العائلة، واستقرارها وأهميتها للفرد، ويمكن لجمهوره أن يصيح ويصفّق طربا على انغامه هذه. من دون أن يلاحظ أن هذا المتكلم اللامع يناقض في حياته الشخصية كل هذه القيم «المقدّسة».

انتقل ترامب من الشاشة، حيث كان يدير برامج مسفّة «واقعي»، الى السياسة. وبسهولة يحسُده عليها من سبق وكان الاستعراض عنده أداة لإقناع الناخبين بروياغندا. يتطوّر أداؤها كلما تطورت التكنولوجيا. ومركز هذا التطور، أي «السيليكون فالي»، انضم إليه، أخيراً، بعدما كان يقترع للحزب الديمقراطي. أي بالمعايير الأميركية، انتقل «معبد التكنولوجيا» هذا من اليسار، الحزب الديمقراطي، إلى اليمين، الجمهوري. والدواع لم تتكشف بعد أسبابها الجوهرية، إلا إذا أخذنا بنظرية الخراب القيمي الهائل الذي ينتظر أميركا في مراحل متقدّمة من تطور هذه التكنولوجيا. قبل ذلك، أي خلال العهد الأول لترامب (2016 - 2020)، كان إنجازه «الملموس» اغتيال قاسم سليماني قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، وأبو بكر البغدادي، قائد «داعش» وهو سطّر الأكاذيب بأرقام خيالية. تابعته مواقع أميركية مختلفة، بين جدّية ومازحة، كذبة وراء كذبة، ناهيك عن قوائم من الكلمات والحركات الجسدية، تعبّر عن استباحة النساء بنوع من الابتذال، الذي بلغ درجة الكاريكاتور... ومن إنجازاته أيضاً سلسلة من الإجراءات، تتقدّم بقوة، وتتراجع؛ مثل التأمين الصحي، بناء السور العازل بين أميركا والمكسيك، منع مسلمين من الدخول إلى أميركا، انتشار السلاح، إنكار أزمة المناخ... وعندما خسر الانتخابات في الدورة الماضية، نظّم ترامب حملة عصيان ضد مبنى الكونغرس، بأسلحة بيضاء مختلفة وأقنعة مخيفة وصيحات تندّد بـ«الغش» في نتائجها. سقط فيها قتلى وجرحى، فضلا عن المعتقلين. وكان هو يديرها من بعيد... وبعد ذلك، خلال السنوات الأربع من حكم بايدن، لوحق بعشرات من القضايا الجنائية: اغتصاب، فساد، تهرّب من الضرائب، الاحتفاظ بملفات سرّية. كل تهمة، لو وجهت الى مواطن «عادي بسيط»، لقضت عليه. ماذا لو اتهم بها مرشّح للرئاسة؟ وماذا لو انتصر ذاك المرشّح؟ وبماذا تذكّرنا أنواع كهذه من «الإنجازات» أو «النجاحات»؟

كان من فضائل الدهر عليه أن خصمه، خلال الحملة الانتخابية، هو جو بايدن؛ عجوز قليل الحيوية، مصابٌ بداء الشيخوخة؛ تائه، متردّد، بطيء، مع أنه لا يكبر ترامب إلا باربع سنوات... تراجع عن الترشح لصالح نائبته، كامالا هارس؛ لا يعرف الأميركيون الكثير عنها قبل أن يعيّنها مرشّحة بدلا عنه... سوى لونها وابتساماتها غير الضرورية.

أيضا: محاولتا اغتياله. الأولى عشناها «لايف»، نجا منها على بُعد مليمترات من أذنه. سقط بسرعة ونهض بأسرع منها رافعا قبضة يده، فالتقطت له تلك الصورة الأيقونة. ترامب الذي يتحدى الموت والإجرام بروح عالية من بركة الله عليه، من حماية الله له... وفي خضم تمجيد الطرفان كذلك على أن في استنزاف الجيش وإضعافه مصلحة، لكن الأخطر أنهما يريان أن مساعيهما وطموحاتهما السياسية قد تتحقّق في حال انتصار حميدتي. يمكن أن يقول قائل إن بين القوى الدولية من يمكنه أن يكون مهتما للشان الإنساني بلا أغراض. المشكلة هنا أن سلوك دولة الاحتلال الإسرائيلي لم يترك مجالاً لأحد لكي يُحسن الظن في «العدالة الدولية». الدول، التي تستأسد اليوم على الجيش السوداني، وتسعى إلى وصمه ومساواته مع المليشيا بحجّة سقوط مدنيين في أثناء القصف، نفسها تردّد أن من حقّ جيش الاحتلال أن يستخدم كل ما يراه مناسبا من أجل ضمان أمنه، وهي نفسها، التي ترفض توجيه أي نوع من الإدانة له أو حتى ممارسة بعض ضغوط عليه. هذا الازدواج الفج في المعايير، الذي لم يعد من الممكن إنكاره أو التستّر عليه، وتسبب في توسع تيار التشكيك بشرعية المؤسّسات الدولية، حتى في دول الغرب، هو ما تسبّب في هذه النظرة الشعبية السلبية لجميع المبادرات، التي تقف وراءها الدول التي تحتكر التحدّث باسم «المجتمع الدولي».

(كاتب سوداني في لندن)

> ترامب أكثر الرجال حظاً، وفي العالم كله، فالذين يحكمهم ليسوا فقط ناخبيه الاميركيين بل مواطنو الكوكب الأرضي

**كاريكاتير** عماد حجاج

## بريطانيا في مجلس الأمن بشأن السودان

**مدى الفاتح**

أنتجت المأساة الإنسانية الحادثة في السودان حالياً، والتي لم يكد ينجو من آثارها أحد، وعياً سياسياً جديداً لدى شرائح واسعة لم تكن تهتم بالشأن المحلي العام، ناهيك عن الوضع الدولي. أدرك أولئك أن الإجابة، التي يبحثون عنها بشأن نهاية هذه الحرب لا تنعلّق فقط بالاعبين المحليين، ولكن بمخطّطين دوليين أيضاً، كما أدركوا، منذ الأسابيع الأولى، أن ما قام به محمد حمدان دقلو (حميدتي) لم يكن مجرد رد فعل عفوي على مساعي الانقلاب عليه، كما كانت دعايته ترّدد، بل إنه كان عملاً مدروساً بدقة ومتابعاً من جهات كانت ترى في تصدّره المشهد مع مجموعة من السياسيين «المقبولين» مصلحة لها.

بالرغم من المعاناة والرغبة الملحّة في العودة إلى الحياة الطبيعية، فإن العنوان الإنساني لمشروع القرار البريطاني، الذي طُرح للتصويت في مجلس الأمن الاثنين الماضي، وتعلق بالوقف الفوري لما سماها «الأعمال العدائية» من جهة و«حماية المدنيين» من جهة أخرى، لم ينجح في خداع الشعب السوداني.

بالنسبة للنخبة المقرّبة من الغرب، والتي سعت إلى التبشير المسبق بالقرار، وبمحاولة إقناع الجماهير بأن إيقاف الكارثة غير ممكن ما لم يجرِ القبول بتدخل دولي، فقد كان إفشال القرار البريطاني مُحبطاً. زاد ذلك الإحباط بعدما ظهر من براير الروسي.

أظهر العامة، الذين تراهم النخبة المتغرّبة مجموعة من الجهلة أو القاصرين، الذين لا يعرفون مصلحتهم، وعياً كبيراً برفض الرهان على الرؤية الغربية. ولا يحتاج المرء إلى بذل كثير خبيراً في العلاقات الدولية أو متخصّصاً في شؤون مجلس الأمن حتى يدرك أن حماس أيّ من دول المركز لا يمكنه أن ينبع من مجرّد الإشفاق على المواطنين، من المهم التذكير أن بريطانيا، المتحمّسة لوضع خطة من أجل وقف الحرب في السودان كما تردّد، ليست مجرّد مراقب أو مهتم محايد، بل هي فاعل في الحدث السياسي السوداني منذ تحقيق تنحية الرئيس عمر البشير في 2019. لا ينسى هنا كيف كان دور السفير البريطاني مخرباً في النسخة الأولى من الفترة الانتقالية، إبّان سيطرة «قوى الحرية والتغيير» على مقاليد الحكم، إلى درجة أنه كان يسمّي تندراً وقتها بالحاكم العام. هذا الفاعل، بكل الأدوار، التي ظهر بها وكل الدعم والتخطيط، الذي ظلّ يقدّمه لمجموعات سياسية بعينها، منذ اعتصام القيادة، لا يمكن لعاقل أن يُنكر أن لديه مصالح يسعى إلى تحقيقها، أو أن يقول ببساطة إن ما يحرّكه مجرد الرغبة في إنهاء المأساة. مقترح التدخّل لحماية الشعب السوداني ومساعدته لم تطرحه بريطانيا بعد اندلاع الحرب أول مرّة، بل بدأ طرحها بمجرد ولادة حكومة عبد الله حمدوك، الذي روهن عليه شخصيّة حليفة وصديقة في بلد مليء بمن ينظرون إلى الأدوار الغربية بتشكّك وحذر. آنذاك، كان المطلوب أن تطلب حكومة حمدوك تدخّل المجتمع الدولي من أجل استكمال المطلوبات السياسية والفنية والقانونية والأمنية للانتقال، وهو ما قامت به تلك الحكومة فعلاً عبر خطاب رسمي فريد من نوعه موجّه إلى الأمم المتحدة لم يجر سحبه، إلا بعد أن تسبّب محتواه المتسرّب في صدمة لدى الرأي العام، الذي رأى فيه دعوة صريحة إلى إعادة احتلال السودان.

بريطانيا، المستعمر السابق، واللاعب الأصيل في معترك السياسة السودانية، تشارك حلفاءها السياسيين المحليين في نظرتهم المعادية إلى المؤسسة العسكرية. الطرفان، بريطانيا وحلفاؤها، يتهمون الجيش بإفشال مشروعهما السياسي، ما يجعلهما يظهران بمظهر المتواطئ المقرّب من قادة «الدعم السريع». يتفق

> دول تتساند على الجيش السوداني وتسعى إلى مساواته مع المليشيا بحجّة سقوط مدنيين

## جورج عبد الله ومعضلة استقلاليّة العدالة الفرنسيّة

**محمد سي بشير**

تقوم الديمقراطية على أساس محوري مقدّس، وهو الفصل بين السُّلطات، وفي قلب ذلك استقلالية العدالة، وكلما ارتفع المنسوب ذلك كانت الدّولة إلى الدّيمقراطية أقرب. وعلى العكس من ذلك، إذا غاب المبدأ وكانت السُّلطات غير منفصلة أو كانت العدالة غير مستقلّة، فإنّ الاستبداد يكون الوصف الذّي يليق بالنّظام الذّي يكون كذلك. الإشكاليّة في أنّ الوصف إذا كان لصيقاً بدول مستبدّة قد يكون مقبولاً، في حال كانت من العالم الثالث. ولكن أن يصدر ذلك التوصيف وينطبق على ديمقراطية عريقة مثل فرنسا فهذا ممّا لم نكن نعتاده، وإن لم يصبح مستغرباً، في العقود الأخيرة، مع المنعرج الميمني المتطرّف الذي اضحى عليه الغرب، خاصّة في كلّ ما له صلة بعالمنا العربي الإسلامي وبمواطنيه وقضاياه. بعد رفض أكثر من عشر مرّات، قبل قضاء فرنسا إطلاق سراح أقدم سجين لديها، جورج عبد الله، المحكوم عليه بالسجن المؤبد جزاء انتسابه لجماعة يسارية فلسطينية وقيامه بعمليات في فرنسا، على أن يدخل التّسريح حيّز التّطبيق في بداية الشهر الماضي (ديسمبر/ كانون الأوّل). ولكن الفارق مع العدالة الفرنسية أنّ النّيابة العامّة قدّمت التماساً قد يعطّل عمليّة اطلاق سراح جورج عبد الله بضغط من السفارة الأميركية الّتي تذعى، بالحملة الّتي تعرّض لها اللاعب بن زيمة والفكاهي ياسين بلعطّار، لمجرّد أنّهما عبّرا عن موقف يتناقض، من وجهة نظر الفرنسيين، مع السّامية، وفق رأيهم، إذ تحدّث وزير الدّاخلية، آنذاك، دارمانان، عن صلات بين بن زيمة وتنظيم الإخوان المسلمين من دون أن يقدّم دليلاً واحداً، وهي، للعلم، قضيّة خطيرة، سارع اللاعب إلى رفع قضيّة بشأنها لدى المحاكم الفرنسية ضد الوزير السّابق. كما تعرّض بلعطّار، أيضاً، بعد استياء بعض من اليمينيين من مرافقته الوفد الرّسمي الفرنسي الرّئاسي إلى المغرب، أخيراً، حيث جرى التّعريض بالفكاهي والتّذكير، كذباً وبهتاناً، بأنّه ملاحق قضائياً في قضايا سبّ وقذف، بل والتّهديد بالقتل، وكلّها تهم جزافيّة تحدّث عنها هؤلاء ولم يصدر القضاء بياناً واحداً يندّد بتلك الأخبار الكاذبة ذات الخلفيّة الفكريّة العنصريّة، بسبب أنّ ياسين بلعطّار من أصول مغربية، وليس فرنسياً أصيلاً. ويمكن الحديث عن فرنسيين من اليمين المتطرّف لم يتوقّفوا، منذ أعوام، عن شتم العرب والمسلمين والمغاربيين، بصفة خاصّة، ولم يُلاحقوا أمام المحاكم، أو أن القضاء لاحقهم، واصدر بحقّهم أحكاماً لم تُنفذ، لا لشيء إلا لأن تلك التّهم جزافيّة هي العنصرية، سبّ وشتم جزء من الفرنسيين من أصول مغاربية، وأشهرهم، في هذا الباب، السّياسي المتطرّف، إيريك زمّور، الذّي لم يُسجن، أبداً، بالرّغم من أحكام عدة بتهم لها صلة بالعنصرية، بل، أكثر من ذلك، يُسمح له بمنبر إعلامي، في قناة إخبارية باتت لرجل الأعمال بولوري، لأعوام، يقوم فيه بهوايته الخاصّة، أي السبّ والشّتم للإسلام، وللمهاجرين والكذب عليهم، كما سمحت له السُّلطات القضائية بالتّرشّح للرئاسيات والتّشريعيات، و لم تستصدر قرارات قضائية تمنعه، مع مبدأ استقلاليّة العدالة، وإنْ لم تكن بالتّدخّل الأجنبي، من قوّة خارجية، ولكن بإقحام العدالة في قضايا لها صلة بملفّات مصلحيّة، على غرار الحقّ في حرّية التّنقّل، منع جمعيّات من العمل، التّحريض الإعلامي، قانون الانعزاليّة الإسلاميّة، وغيرها من قضايا ما كان للعدالة أن يُتلاعب بها، ويكون الفاعل الأساس فيها ليس وزير العدل، بل وزير الدّاخليّة، في أحيان كثيرة، على غرار تحريض وزير الدّاخليّة السّابق، دارمانان، من التّحريض ضدّ الجمعيّات الإسلامية، وسعيه إلى التّشديد على المغاربيين في ملف الشّاشيرة، بزعم وجود صلة بين التّطرّف، الإرهاب و الهجرة السّرّية، من ناحية، والمغاربيين، من ناحية أخرى، من دون أدنى إثبات، تماما مثل إيعاز بعض الأئمّة، بزعم أنّهم يلقون خطباً تتناقض مع مبادئ حرّيّة الإنسان، أو بزعم أنّ في تلك الخطب دعوة إلى العنف ضدّ المرأة، وكلها، كما نرى، ملفّات، لو وُجد مبدأ استقلالية العدالة، كما تذّعي فرنسا، لما جرى إقحام الأجهزة الشّرطية، أحياناً، من دون المرور على المحاكم (جرى الإعلان عن حظر نشاطات جمعيات إسلاميّة، وغلق مساجد بقرارات من وزارة الدّاخلية من دون أدنى تدخّل لوزارة العدل، ومن دون السّماح للجمعيات القائمة على تلك المساجد بتقديم معارضات على القرارات بالملجم من النّشاط). يمكن التّذكير، في المقام، بالحملة الّتي تعرّض لها اللاعب بن زيمة والفكاهي ياسين بلعطّار، لمجرّد أنّهما عبّرا عن موقف يتناقض، من وجهة نظر الفرنسيين، مع السّامية، وفق رأيهم، إذ تحدّث وزير الدّاخلية، آنذاك، دارمانان، عن صلات بين بن زيمة وتنظيم الإخوان المسلمين من دون أن يقدّم دليلاً واحداً، وهي، للعلم، قضيّة خطيرة، سارع اللاعب إلى رفع قضيّة بشأنها لدى المحاكم الفرنسية ضد الوزير السّابق. كما تعرّض بلعطّار، أيضاً، بعد استياء بعض من اليمينيين من مرافقته الوفد الرّسمي الفرنسي الرّئاسي إلى المغرب، أخيراً، حيث جرى التّعريض بالفكاهي والتّذكير، كذباً وبهتاناً، بأنّه ملاحق قضائياً في قضايا سبّ وقذف، بل والتّهديد بالقتل، وكلّها تهم جزافيّة تحدّث عنها هؤلاء ولم يصدر القضاء بياناً واحداً يندّد بتلك الأخبار الكاذبة ذات الخلفيّة العنصريّة، بسبب أنّ ياسين بلعطّار من أصول مغربية، وليس فرنسياً أصيلاً. ويمكن الحديث عن فرنسيين من اليمين المتطرّف لم يتوقّفوا، منذ أعوام، عن شتم العرب والمسلمين والمغاربيين، بصفة خاصّة، ولم يُلاحقوا أمام المحاكم، أو أن القضاء لاحقهم، وأصدر بحقّهم أحكاماً لم تُنفذ، لا لشيء إلا لأن تلك التّهم جزافيّة هي العنصرية، سبّ وشتم جزء من الفرنسيين من أصول مغاربية، وأشهرهم، في هذا الباب، السّياسي المتطرّف، إيريك زمّور، الذّي لم يُسجن، أبداً، بالرّغم من أحكام عدة بتهم لها صلة بالعنصرية، بل، أكثر من ذلك، يُسمح له بمنبر إعلامي، في قناة إخبارية باتت لرجل الأعمال بولوري، لأعوام، يقوم فيه بهوايته الخاصّة، أي السبّ والشّتم للإسلام، وللمهاجرين والكذب عليهم، كما سمحت له السُّلطات القضائية بالتّرشّح للرئاسيات والتّشريعيات، و لم تستصدر قرارات قضائية تمنعه، بسبب الأحكام المذكورة، من الاستمرار في التّرشّح لأعلى منصب في الدّولة الفرنسية (الرّئاسة) أو للجمعيّة الوطنيّة (الغرفة السُّفلى للبرلمان الفرنسي).

تتحدّث الصّحافة اليساريّة كثيراً، في فرنسا، عن ظاهرة غياب استقلاليّة العدالة في فرنسا وتبرز، يومياً، قضايا سياسيّة، وأخرى ذات خلفيّة اقتصاديّة تلعب فيها السُّلطة التّنفيذيّة، خاصّة في عهدتي الرّئيس ماكرون، دور السُّلطة المتّنفذة في إطار المنعرج النيوليبرالي الذّي طبع به الحياة السياسية الفرنسية منذ صعوده إلى سدة الحكم، في 2017. ويُذكر، في هذا المقام، الدّور المتزايد للسُّلطة التّنفيذية على حساب السُّلطات الأخرى، التّشريعية والقضائية، حيث أضحى قصر الإليزيه المكان الذّي تُصنع فيه السّياسة، وتُتّخذ فيه القرارات الحيوية لفرنسا، خاصّة في المجال الاقتصادي، ما جعل بعضهم يتحدّث عن رئيس يتصرّف وكأنّه ملك فرنسا، حيث يمنح الدّستور (دستور الجمهورية الخامسة الذّي رسم معالمه الجنرال ديغول، في 1958، في ظروف عصيبة كانت تمرّ بها فرنسا من جرّاء تصاعد تأثير الحرب التّحريرية الكبرى الجزائريّة) صلاحيات واسعة للرّئيس. وبالرّغم من ذلك، جعل ماكرون وقبله ساركوزي (رئيس فرنسا من 2007 - 2012) من الرّئاسة السُّلطة الأعلى لخدمة مصالح طبقة اقتصادية بعينها، ولو على حساب شعار الثّورة الفرنسية الموسوم بثلاثية: حرّية، مساواة وأخوّة، وهي عبارات أضحت فضفاضة لا عمق لها بموثّر غياب استقلالية العدالة، وفق ما جرت الإشارة إليه من حالات ومواقف.

تلك هي فرنسا التي تتشدّق بالدّيمقراطية، وهي تطبّق سياسات اضرّت بإفريقيا وتطبّق السّياسة نفسها على مواطنين فرنسيين، ولكن من أصول أخرى، تلك التّي تريدها حضارة الغرب، وبالتّالي، فإنّ لهذا المؤشّر، غياب استقلالية العدالة، تأثير على تراجع فرنسا والجميع يتذكّر، في هذا المقام، انتفاضات السُّترات الصفراء الّتي كانت من بين مخارج مؤشّر المنعرج النيوليبرالي للسّياسات الاقتصادية ولمؤشّر غياب استقلالية العدالة.

(أستاذ جامعي جزائري)

> دور متزايد للسُّلطة التّنفيذية على حساب السُّلطات الأخرى، التّشريعية والقضائية، حيث أضحى قصر الإليزيه المكان الذي تُتّخذ فيه القرارات الحيوية

## عندما تُقتَل اغتصاباً في غزّة

**زياد بركات**

مروّع ولا يكاد يُصدّق ما تكشّف عن الأيام الأخيرة من حياة الطبيب الغزّي عدنان البرش. ... هل تتذكرون طلّته الرزينة، المتأنّية لكن الصلبة، على قنوات التلفزة العربية في الأشهر الأولى لطوفان الأقصى؟

في المستنقعات التي حرصت إسرائيل، حفيدة الهولوكست ومُعيدة إنتاجه في اللحم الحيّ لمئات الآلاف من الغزّيين، على قصفها، كان الطبيبان عدنان البرش ومحمد أبو سلميّة حارسي الدم الفلسطيني في تلك الأيام العصيبة التي أُهرق فيها دم غزير، داخل منشآت يُفترض أن تتمتّع بالحماية الدولية.

لا هو ولا أبو سلميّة قبلا التخلّي عن مسؤولياتهما الأخلاقية إزاء شعبهما الذبيح. بقيا في المستشفيات، وتحديداً في مجمع الشفاء الطبي الذي شهد المذبحة، الذي شهد نقل الرُّضَّع الخُدَّج من مكان إلى آخر، بينما عصابات يوشع بن نون تُحاصر المستشفى وتقتل وتعتقل وتُهين أكرم الناس الذين أبَوا إلا مواساة المرضى والجرحى حتى الرمق الأخير.

كان الدكتور عدنان البرش رئيساً لقسم العظام، وكان أبو سلميّة مديراً للمستشفى، وكانا صوت الناس، صوت شعبهم. يقاومان حتى آخر قطرة دم عن شعبٍ سُفك دمُه أنهاراً، فتتصل بهم وسائل الإعلام فيضعون أولئك الذين يضعون ساقاً فوق أخرى في بلادهم، بين عائلاتهم، في صورة شعبٍ تُمسح عائلاتٌ كاملة منه من السجلات، لأنّ ثمة قاتلاً لا يشبع من القتل، لأن دولاً كبرى لا تريد أن ترى الضحية، ولأن على الفلسطيني أن يخوض وحده حرب تحرّره من أسوأ احتلال في التاريخ.

بعد اقتحام مستشفى الشفاء، اعتُقل أبو سلمية، بينما رفض البرش البحث عن النجاة، بل توجّه إلى مستشفى كمال عدوان، ليكون في خدمة شعبه، ثم إلى مستشفى العودة حيث اعتُقل في نيسمبر/ كانون الأول من العام الماضي. كان آخر ما كتبه قبل أن تنقطع أخباره، على منصّة إكس: «نموت واقفين ولن نركع، ومثل ما حكيت ما يبقى في الوادي إلا حجارتو، وإحنا حجارتو». ... هل يذكّركم هذا بشيء؟ إنها رواية «اللاز» للجزائري الطاهر وطّار، حيث ثمّة من يزّرع لثورة أخرى انتصرت بعد ثمن باهظ جداً، فمنذ متى كان ثمن التحرّر بخساً؟

نحو خمسة أشهر من الاعتقال والرجل يتعرّض للتعذيب والضرب، قبل أن يُعلن استشهاده في إبريل/ نيسان. وقبل أن تتكشف وقائع ذبحه غير الرحيمة، فقد تعرّض الرجل لما ه

# في الاحتفاء بالفلسفة وقيمها

**كمال عبد اللطيف**

يحلّ في الخميس الثالث من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني كل سنة اليوم العالمي للفلسفة، ليواصل تذكيرنا بفضائل الفكر الفلسفي ومزاياه في الثقافة والمجتمع. وقد أحسنت «اليونسكو» وهي تقرّر سنة 2002 تخصيص يوم عالمي للعناية بالفلسفة ومآثرها في الحاضر والمستقبل، حيث يجري في هذا اليوم تنشيط لقاءات وعروض وحوارات، كما تُنظّم ندوات وموائد ومنصات للحوار، تُعْنَى ببعض أسئلة الفلسفة ومفاهيمها، من أجل مزيد من احتضان شعلة العقل والعقلانية في الفكر الإنساني، ومزيد من محاصرة الفكر القطعي والمواقف اليقينية المطلقة. ويتيح لنا استرجاع القضايا الكبرى، التي تمت العناية بها في هذا اليوم، وفي مختلف الفضاءات الفكرية التي أقامت في العقدين المنصرمين منصّات فكرية بالمناسبة، معرفة الآفاق التي ما زال الفكر الفلسفي يُوَجِّهُ النظر نحوها، من أجل تطوير النظر الفلسفي، وترسيخ قيمه ومفاهيمه ونمط اشتغاله في الفكر المعاصر. يتساءل بعضها أحياناً عن جدوى الفلسفة اليوم، وترتفع أصواتٌ أخرى مُعلنة نهاية الفلسفة في زمن العلم والتكنولوجيا. يُغفل الذين يطرحون هذه الأسئلة أن النظر الفلسفي لا يرتبط بزمن معين أو بإشكالات محدّدة، إنه أحد العناوين الكبرى للخبرة والحكمة البشرية في التاريخ، وأهميته تَكْمُن في قدرته على مواكبة المتغيرات، في النظر والعمل، والحفر في مجاريها وأسسها وأهدافها وفَحْص كيفيات نَظَرِها والوقوف على مختلف أبعادها. وأن هذا الموقف بالذات يمنح الفعالية النظرية الفلسفية إمكانية مواصلة بناء تاريخها وأنظمتها الخاصة. ويمكن أن يضاف إلى ما سبق أن التساؤلات المشار إليها لا تخصّ الفضاء الثقافي العربي، بحكم أنه ما يزال في أمسّ الحاجة إلى مزيدٍ من توطين قيم الفلسفة وترسيخها في فكرنا. يُشكّل اليوم العالمي للفلسفة في الثقافة العربية مناسبةً ثمينة، لمزيدٍ من الدفاع عن مكانتها المركزية في برامج التعليم بمختلف مستوياته، بهدف تعميم دروسها في المدارس الثانوية، وفتح شُعبها وأقسامها في المعاهد والجامعات، لأهمية الآفاق التي يفتحها تدريسها في التكوين النظري العام للطلبة والتلاميذ والباحثين، وأهمية طرق النظر ومناهجها التي يسمح بها التكوين الفلسفي، في موضوع كيفيات التعامل مع قضايا الفكر والمجتمع والحياة، فقد رسم تاريخ الفلسفة وما فتئ يرسم في تاريخه مجموعة من الطرق والأدوات المنهجية المساعدة في عمليات تطوير الثقافة والمجتمع والتاريخ، الأمر الذي سمح للبشر ببناء ما يسعفهم بعملية تجاوز معضلات نظرية وتاريخية واجهتهم. ومن سقراط إلى دولوز ومروراً بتاريخ حافل بكثير من طرق النظر الفلسفي ومفاهيمه، تَمَكَّنَ البشر من ركوب دروب الحرية والعقل، من أجل الانتصار على كثير من عِلَل التاريخ والمجتمع، عِلَل الأفراد والجماعات.. ويواصل النظر الفلسفي المتبلور اليوم مواجهة إشكالات كثيرة جديدة ناشئة في مجتمعاتنا وفي ثقافتنا.

> تزداد حاجة الثقافة العربية التي ما زال يهيمن عليها سَقْفُ في النظر مُعادٍ للعقل والتاريخ، إلى آليات في النظر تساعد على توسيع مساحة النظر الفلسفي

إذا كنا نلاحظ اليوم في مجتمعات عربية كثيرة انتعاش خطابات التمذهب العرقي والطائفي، ما حوّل بعض مجتمعاتنا إلى بؤر للحروب، وترتّب على ذلك إدخال عديدين من شبابنا في متاهات مخيفة، فإننا نتصوَّر أن الإيمان بأهمية درس الفلسفة في التاريخ والانتصار لقيمها، يُسعفنا بالتعلم من فضائل الانفتاح والحوار وأدوار العقل في التاريخ. كما أن مواجهة سقف العقائد المهيمن اليوم في حاضرنا يتطلب أن نواصل الجهود والمساعي الرامية إلى استئناف القول الفلسفي وتوطينه في ثقافتنا، فلا يُعقل أن تظلّ عقولنا متشبثة بآليات في الفكر لم تعد ملائمة لمتطلبات الأزمنة الجديدة التي نُعاصرها، من دون أن نتمكّن من الانخراط الفعّال في بناء أدواتها في الفهم والعمل، وصناعة أحداثها في التاريخ.

تزداد حاجة الثقافة العربية التي ما زال يهيمن عليها سَقْفٌ في النظر مُعادٍ للعقل والتاريخ، إلى آليات في النظر تساعد على توسيع مساحة النظر الفلسفي وتعميمها في ثقافتنا ومجتمعنا. ومن هنا، تعدّ حاجة الفكر العربي إلى الفلسفة مسألة لا ينبغي اليوم تقديم أي تنازلاتٍ في موضوع الحرص على مواصلة توطينها، وتوسيع مساحات حضورها في مدارسنا وجامعاتنا وفضائنا العام، فلا أحد يجادل اليوم في ضرورة الاستفادة من مكاسب الفكر النقدي والفكر التاريخي ومنجزاتهما، كما تبلورت في الفلسفة الحديثة وتطوّرت في منظومات الفلسفات المعاصرة، نقصد بذلك فكر النسبية في المعرفة، وفكر الحداثة ومواثيق وإجراءات العمل الجماعي الإرادية والواعية في السياسة والأخلاق. يتيح لنا التمرُّس بالمكاسب والدروس المشار إليها باختزال شديد إلى بعضها، المشاركة في تملُّك المعارف التي نتطلع إليها، وامتحان أدواتها في أساليب النظر والعمل، قصد ملاءمتها مع شروطنا العامة في التاريخ، الأمر الذي يمكّننا من مواجهة مختلف صور الفكر الواحد، والرأي الواحد، والعقل الكُلِّي، فَنُعَوِّدُ الأجيال الناشئة، على إدراك أهمية الحوار والتناقض والاختلاف والتسامح، ودور التاريخ في تنويع مضمون المبادئ والقيم والعقائد وتطويره، فتصبح دروس الفلسفة، في النهاية، مناسبة لتعويد الذهنيات على مخاصمة التفكير المغلق، ومخاصمة منصّات فضاءات تمرير الثقافة المعادية للإنسان وللتاريخ، من أجل فهم أعمق لمختلف قضايا الإنسان في تشابكها وترابطها وتعقّدها. يمنحنا اليوم العالمي للفلسفة مناسبة لمواجهة خصومها القدامى والجُدُد، ويواصلون التشبث بحصون الفكر التقليدي، والخصوم الْجُدُد الذين يتغنّون بفتوحات العلم والتقنية من دون عناية بالأسئلة التي تترتَّب على الثورة التقنية في حياتنا. وتمنحنا الفلسفة اليوم إمكانية فحص ومناقشة الصور الجديدة التي تفرزها التقنية في عالمنا. لعلنا نتمكّن من محاصرة البلاهات والأحكام التي يتّسع حجم انتشارها في فضاءات التواصل الاجتماعي. لا نتحدّث هنا عن فلسفة بعينها، بل نروم الإشارة إلى أهمية الفاعلية النظرية التي رسمها درس الفلسفة في التاريخ، حيث تتسع وتتنوع مجالات درسها وحدودها، ذلك أن حاضر الفلسفة في مجموع تجلياته، مَنَحها وما فتئ يمنحها الطابع الذي أصبحت عليه اليوم، حيث استقرّت في حنايا المعارف المختلفة، وتسرّبت آليات عملها إلى خطاباتٍ عديدة، لتؤسس لعملية إعادة انتشار تُوَاصِلُ من خلالها مُحَايَثَتِها لمختلف خطابات المعرفة وفنونها، حيث تنتعش لغة الفلسفة ومفاهيمها في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كما تبتكر لنفسها مفرداتٍ ورموزٍ في الفنون والآداب وفي مجال القيم، وكذا في مباحث التقنية ومجتمعات المعرفة، كما تحضر في القانون والسياسة والحرب، وهذا من دون الحديث عن حضورها المؤكّد في الرواية والشعر وباقي النصوص المفتوحة، مكتوبة كانت بالكلمات أو بالأشكال والأصوات والصُّور.

(أكاديمي مغربي)

# هل يُعاد تصنيف الصهيونية شكلاً من العنصرية؟

**مالك ونوس**

لدى المقاربة الحقيقية لجذور إجرام دولة الاحتلال الإسرائيلي لا يمكن فصل هذا الإجرام بحق الشعبين الفلسطيني واللبناني أخيراً، عن الموجة الجديدة من توحُّش دول الاستعمار القديم وقد مسَّ ظفرُ المقاومة الفلسطينية وحشها المدلل القابع فوق أرض فلسطين، في عملية طوفان الأقصى، فأطلق عنصرية تلك الدول تجاه كل من لا ينتمي للغرب، ومنهم الشعب الفلسطيني الذي جرّدوه من إنسانيّته، وأعطوا الإسرائيليين الحق بالقتل حتى إفنائه. ولا يمكن لأي فعلٍ مقاومٍ أن يوقف موجة التوحّش تلك، إلاّ بالعملِ على كل الجبهات، ومنها أن تحاول دولٌ أو مؤسّسات طرح إعادة تصنيف «الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري»، بعدما صنّفت منظمة العفو الدولية دولةَ الاحتلال، قبل سنتين، دولةَ أبارتهايد، وبعد أن اكتمل بناء أكبر صرح من صروح الفصل العنصري في العالم، الجدار العازل، في الضفة الغربية، لما يمكن لهذا التصنيف أن يفعله في نفوس كثيرين في العالم ومواقفهم ممن لا يتقبلون الممارسة العنصرية وأصحابها.

لبّى زعماء دول الغرب دعوة رئيس مجلس الحرب الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، لزيارة تل أبيب والتضامن مع كيانه عشيّة عملية طوفان الأقصى، فتقاطر هؤلاء وتزاحموا متدافعين للقيام بتلك المهمّة، غير أنهم لم يأتوا سوى ليعطوا دولة الاحتلال رخصةً للقتل، بحجّة «الحقّ بالدفاع عن نفسها»، وهو ما لقي طريقه إلى التنفيذ في حرب الإبادة الجارية في قطاع غزّة من أكثر من سنة. كانت مورثات الاستعمار القديم التي ما زالت تجري في عروق أولئك الزعماء ما دفعهم إلى أن يتخذوا ذلك الموقف، خصوصاً بعدما لمسوا في عملية طوفان الأقصى نزعة تحريرٍ ظنّوا أنها ماتت لدى ضعفاء هذا الكوكب. ثم تبيَّنَ أن زعماء الغرب استطابوا عملية تقتيل الفلسطينيين وتدمير حياتهم، وربما أدمنوا مشاهد الدم الفلسطيني الذي يسيل يومياً، والمجازر التي يرتكبها الإسرائيليون على الهواء مباشرة، فكان سكوتهم عن تلك المجازر بمثابة تجديد إجازة القتل التي أعطوها لنتنياهو. ولا تنفصل مطالبة الرئيس الأميركي المُعاد انتخابه، دونالد ترامب، نتنياهو بالإسراع بتنفيذ المهمّة من أجل وقف الحرب في القطاع، عن تلك الإجازة وعن الدعوة إلى مزيدٍ من القتل.

> تعرف دولة الاحتلال أن اتهامها بالعنصرية يعد بمثابة الاغتيال المعنوي لها ولقادتها وضباطها وفضيحة أمام شعوب الغرب

لو لم تجد الجمعية العامة للأمم المتحدة التي انعقدت سنة 1975، في الصهيونية الخطر الأكثر تهديداً على مستوى العالم، لما اعتمدت حينها قرارها رقم 3379 أن «الصهيونية شكلٌ من أشكال العنصرية والتمييز العنصري»، ولما ضمَّنت القرار عينه مطالبة «جميع الدول مقاومة الصهيونية» التي وجدت أنها «تشكّل خطراً على الأمن والسلم العالميين». الآن وقد أقامت الصهيونية دولة أبارتهايد تشابكت مصالحها مع مصالح دول الغرب وزعمائه، ومع قوى السوق المتوحّشة والمجمّعات العسكرية الحاكمة فيه، بدأ خطرها على الأمن والسلم العالميين يظهر بأشكاله الدموية في الحرب الإسرائيلية على الشعبيْن، الفلسطيني واللبناني، وفي الحرب الإسرائيلية غير المعلنة على دول المنطقة الأخرى، والتي تنفّذها بضرباتٍ يوميةٍ تطاول الأراضي السورية، وأخرى أصابت إيران واليمن، وربما العراق قريباً، وهو ما يهدّد الأمن والسلم العالميين وليس المنطقة وحدها. لمست دولة الاحتلال، سنة 1991، ومن خلفها الصهيونية العالمية، والمجتمع الدولي المتبنّي السياسة الإسرائيلية، تضعضعاً في المجموعة العربية وخلافات أضعفتها، بعدما انهارت مجموعة الدول الاشتراكية، وتراجعت منظمة دول عدم الانحياز وقوى حركات التحرّر الوطني العالمية التي كانت تساند القضية الفلسطينية، لذلك ضغطت على الأمم المتحدة من أجل إلغاء قرار تصنيفها شكلاً من أشكال العنصرية. كما كان إلغاء القرار شرطاً وضعته قبل مشاركتها في مؤتمر مدريد للسلام في تلك السنة. حينها لم يكن الجدار العازل الذي شيده الاحتلال في الضفة الغربية، ويعدّ شكلاً من التمييز العنصري، قد تم بناؤه بعد. للجدار العازل في الضفة الغربية وظيفة لم تُنَط بأي بناء شيده إنسان من قبل، فهو يفصل المناطق الفلسطينية عن المناطق الإسرائيلية ويجعل المناطق الفلسطينية جزراً متناثرة. جدار طويل وأفعواني يقدّر معهد الأبحاث التطبيقية بالقدس أن يصل طوله إلى 770. وهو يقضم وحده 39% من مساحة الضفة لأن عرضه في بعض المناطق يبلغ 60 متراً، يشغله جدار إسمنتي يبلغ ارتفاعه ثمانية أمتار وعلى جانبيه أحزمة أسلاك شائكة وخنادق وطرق ترابية وطريق إسفلتية لتسيير الدوريات، على جانبيها طرق رملية لاقتفاء أثر المتسللين، وحواجز وأجهزة إنذار. ويكفي هذا الجدار وحدَه ليعطي لدولة الاحتلال هويتها الحقيقية، دولة فصلٍ عنصري. اللافت أنه وبعد سنة واحدة فقط من إلغاء قرار تصنيف الصهيونية عنصرية، طرح رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، إسحاق رابين، فكرة الفصل بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وطالب بوضع خطّة لتنفيذها. ثم بقيت الفكرة تُدرس إلى أن نضجت، وأخذت طريقها إلى التنفيذ عبر الجدار بشكله الحالي، والذي بدأت عمليات البناء فيه سنة 2002.

(كاتب سوري)

# خرائطُ جاهزة للتيه الجديد

**مهنّد ذويب**

نشرت صفحاتٌ تابعة للمستوطنين، في نوفمبر/ تشرين الثاني العام الماضي (2023) خرائطَ للمنطقة بعدَ الحرب التي كانت دخلت شهرها الثاني على قطاع غزّة، وضمّت خرائطُ ما سمّيت «مملكة إسرائيل» الضفّةَ الغربيّة كلّها وأجزاء من الأردن، إضافة إلى غزّة وأجزاء إضافيّة من لبنان وسورية. وأرفقت الخرائطُ بدعوةٍ الفلسطينيين للمُسارعة بالهجرة قبلَ التّهجير القسريّ، وحدّدت لهم الأماكنَ التي سوف يُهجّرون إليها.

أمّا في سبتمبر/ أيلول الماضي (2024)، وأمام الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة، وبعد رسائله وعتاباته، وبعد «نوستالجيا» رفضه انسحاب شارون من محور فيلادلفي عامَ 2005، وفي فقرة تحليل الخرائط، عرض رئيس الوزراء الإسرائيلي، نتنياهو، خريطة ظهرت فيها الضفّة الغربيّة (دولة الفلسطينيين الموعودة) بلون الأراضي التي احتلّت عام 1948، وتشكّل الآن أراضي «دولة إسرائيل» حسبَ «الشرعيّة الدوليّة». وعشرات الدلائل والإشارات السابقة عن مخطّطات الاحتلال، ابتداءً من مقترح غيورا آيلاند في السبعينات إلى آراء نتنياهو الواضحة عن «حلّ الدولتين» و«الأرض مقابل السّلام». وللحقّ، لدولة الاحتلال عجيبُ القصص مع الخرائط، فمن خرائط «النيل إلى الفرات»، ومن خرائط «الإخلاء والمناطق الآمنة»، و«خريطة الطريق»، وخرائط «ما بعد الحرب»

> ما بين الخرائط والأخطاء والخسارات والعَقارات، يقعُ «حلّ الدّولتين»، المدفون بالإجماع، ويدخل الفلسطينيون إلى التيه الجديد غير واضح المعالم

التي تفاوض فيها نتنياهو مع نفسه، ووافق عليها هو والأميركيون، إلى أخطاء الخرائط الدولية كـ«الخطأ» في خريطة المغرب المعلّقة في مكتبه، والذي تكرّر مرّتين، إلى حديثٍ قديم قاله لي سياسيٌّ فلسطينيٌّ، في لحظة صفاء، واصفاً حال وفود التفاوض الفلسطينيّة، وهي ذاهبة إلى مدريد ثمّ أوسلو وكامب ديفيد و...، بالقول.. «لقد جاء الإسرائيليون بخرائط تفصيليّة لكلّ شيء، حتى ينابيع الماء في كامل الجغرافيا الفلسطينيّة، وكنّا نذهب بأيدينا الفارغة».

إذن؛ ليس الأمرُ جديداً، وما إعلانُ الوزير سموتريتش عن إصدارِ تعليماته بالتجهيز لـ«فرض السّيادة الإسرائيليّة على الضّفة الغربيّة» إلّا تتويجُ لمخطّط جرى تنفيذه على مدار سنواتٍ بالتدريج عبرَ زيادة الاستيطان ومصادرة الأراضي وتقسيم الضفّة الغربيّة إلى «كانتونات» معزولة تغلق ببوابات، كما أنّه جاءَ متزامناً مع عودة ترامب إلى البيت الأبيض، وتعيينِهِ مستثمراً عقارياً لتدبير شؤون «البيع والشّراء» في الشّرق الأوسط، إضافة إلى تعييناته وترشيحاته الأخرى. أكتُبُ هذا اليوم لأقول إنّ أيّ خطوةٍ ستقوم بها دولة الاحتلال الإسرائيليّ في الضّفة الغربيّة لا ترتبطُ بشكلٍ مباشرٍ بنتائج 7 أكتوبر (2023)، كما يروّج بعضهم، بل هي سلسلة من المُخطّطات التي جرى تنفيذها جغرافياً على الأرض في الفترة الطويلة من سياسة استجداء المنظّمات الأمميّة، والبحث عن دولةٍ على الورق قبل الجغرافيا، وهي تستندُ إلى الأهداف التوسعيّة، و«ونبوءات إشعيا» التّوراتيّة، وأيضاً للظرف المواتي، أكثر من أيّ وقتٍ مضى، للمضيّ في الإبادة والتّوسع والتّهجير والضّم، أمام حالة «الفُرجة» المريحة على دم الفلسطينيين. وإنْ كانَت المقاومة المسلّحة، برأي بعضهم، أدّت إلى إعادة احتلال قطاع غزّة واستشهاد آلاف الفلسطينيين، فإنّ البرنامج المُقابل لها أدّى إلى خساراتٍ بالتدريج للأرض والإنسان، وفي المحصّلة (كمصارحةٍ قاسية) فإنّ الفلسطينيين أمام خساراتٍ عميقة ووجوديّة. يقودني الحديثُ عن الخرائط، دائماً، إلى تذكّر الحديث عن «الأخطاء»؛ فثمّة تاريخ طويل من الأخطاء الإسرائيليّة؛ في الفيلم المصري «سيّد العاطفي» (2005)، تقول الفنانة المصريّة القديرة عبلة كامل، وهي تقود سيّارة الأجرة التي تعملُ عليها: «دَانا كنتِ نايمة وقالولي إصْحِي إنتِ بْقيتي مرات شَهيد، قلت لهم: اللّهَ، شهيد إزّاي؟ هوا إحنا مش بالسّلام... قالولي معلش أصْل إسرائيل غلطِتْ وامسَحيها فينا المَرّادِيْ ... مسحتها». وفي الانتفاضة الثانية، قال جيش الاحتلال الإسرائيليّ إنّ جنوده لا يتعمّدونَ قتل الفلسطينيين، وإنّ عمليات القتل تحدثُ خطأً، وأنّ جنوده يطلقونَ النّار على الأرجل فقط. إحدى الصحافيّات (أظنّها بريطانيّة) كانت تغطّي أحداث الانتفاضة في الأراضي الفلسطينيّة المحتلة، بدأت تقريرها: «يبدو أنّ الفلسطينيين يسيرونَ على رؤوسهم»، في استهزاء بالتّصريح الإسرائيليّ الذي يقول إنّ جنوده يطلقونَ النّار على الأرجل، مقابل ما رأته من أنّ أغلب الشّهداء قُتلوا برصاصات في رؤوسهم.

ومنذُ أنْ مَسَحتْها عبلة كامل، ومنذُ أنْ لمْ يسِر الفلسطينيونَ على رؤوسهم، وقبلَ ذلك وبعده، و«الأخطاءُ» الإسرائيليّة تتوالى، في الخرائط، وفي قتل عشرات آلاف الفلسطينيين المدنيين، وفي قصف المستشفيات في غزّة ولبنان، وفي عرض خرائط من النّيل إلى الفُرات، وفي قصف الحدود المصريّة، وفي اغتيال شيرين أبو عاقلة، وفي استحضار دمويّة التّوراة نصّاً مؤسّساً لاستحلال دم الأغيار، وفي دخولِ شمشون الجديد معبَدَ غزّة، و(...)، وما بين الخرائط والأخطاء والخسارات والعَقارات، يقعُ «حل الدّولتين»، المدفون بالإجماع، ويدخل الفلسطينيون إلى التيه الجديد غير واضح المعالم.

(كاتب فلسطيني في الرباط)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **معن البياري** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **لياك حداد** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

**المكاتب**
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads